



## الذكرى المئوية الثانية للثورة الفرنسية (١ من ٢) الابهة الجمهورية وهواية النظر الى النفس في مرآة الماضي

ثمة عبارة في اللغة الصحافية الفرنسية يلجأ إليها المعلقون دوماً اذا ارادوا وصف احتفال رسمي مهم، وهي ان «الجمهورية تخرج بكل ابهتها» وهذا بالتأكيد ما سيقال غداً حين يحتفل في باريس بالذكرى المئوية الثانية للثورة الفرنسية.

وفي الحقيقة ان «الجمهورية» لا تبخل عادة ببزخها في المناسبات الكثيرة التي تطلب ذلك وفق التقليد الفرنسي، اي في الاعياد الوطنية وفي تدشين المشاريع الكبرى وفي احتفالات «البانتيون» عندما ينقل الى هذا الصرح المخصص لرجال فرنسا العظام رفات اديب او مفكر او رجل دولة، الا ان فرنسا كلها تتوقع ان تصل «الابهة الجمهورية» الى درجة لا مثيل لها غداً لمناسبة العيد الوطني، اثناء العرض الفني الكبير الذي سيقام في جادة الشانزليزيه وافتتاح دار الاوبرا الجديدة في ساحة الباستيل، مسرح بدايات الثورة، في ما يفترض ان يشكل ذروة الاحتفالات التي نظمت منذ بداية السنة في اطار المئوية الثانية للثورة.

وبالفعل، كلف تنظيم الاحتفالات بذكرى الثورة جهوداً مضيئة منذ ثلاث سنوات وحشدت طاقات هائلة لاتمام التجهيزات اللازمة للعرض الكبير الذي قررت فرنسا ان تهديه الى العالم في يوم عيدها الوطني. وقد دعي خصيصاً لهذه المناسبة العشرات من رؤساء الدول الحليفة والصديقة ليشهدوا على تجلي الجمهورية الفرنسية في ذكرى تأسيسها، كما يغطي الاحتفالات اكثر من ٤٠٠٠ صحافي من كل انحاء العالم.

وبلغ حجم الاحتفالات المقررة حداً جعل الحكومة عرضة لانتقادات عنيفة في الاوساط المعارضة، يميناً ويساراً، وحتى داخل الحزب الاشتراكي الحاكم. كذلك، ابرزت الصحف الازعاج الذي تتسبب فيه الاحتفالات للمواطنين، خصوصاً ان الاجراءات الامنية اللازمة لحماية الضيوف الاجانب، فضلاً عن عشرات الالوف من السياح ومئات الالوف من الباريسيين، استدعت منع عبور السيارات في احياء كاملة وسط العاصمة لمدة خمسة ايام. ذهب البعض الى ان الفرنسيين لا يفهمون كيف ترصد المبالغ الطائلة للاحتفال (بليون فرنك) في وقت لا يزال يعاني المجتمع الفرنسي آثار الازمة الاقتصادية. لكن البعض الاخر يؤكد ان هذه الانتقادات ليست سوى التعبير العفوي عن النزعة الفرنسية المزمنة الى التأفف. وهي من المكونات الثابتة للطابع الفرنسية. وفي اي حال، تشهد الاجواء الباريسية منذ بداية السنة على ان ذكرى الثورة الفرنسية هيمنت ليس فقط على النشاط الثقافي الفرنسي، وانما على الحركة السياحية التي شهدت ازدهاراً ملحوظاً يتوقع منه ان ينعكس على ميزان المدفوعات على نحو يعوض نفقات الاحتفال، وكذلك على الحركة التجارية في العاصمة والاقاليم. ويكفي التجول في شوارع باريس، الشعبية، والميسورة على حد سواء، للثبنت من ذلك. فقد زين معظم الواجهات بالالوان الثلاثة، الازرق والابيض والاحمر. واصبحت الحسومات الموسمية تقدم على انها «ثورة ضد غلاء المعيشة». وانتجت صناعة الكماليات الكثير من السلع المثلثة



الالوان. وتبارت الصحف والمجلات في البحث عن مادة «ثورية». من تنظيم مسابقات عن تاريخ الثورة الى عرض وقائعها بحلة صحافية حديثة، الى اصدار اعداد خاصة. وتهافتت المسارح على تقديم عروض متصلة بتاريخ الثورة. وقدم التلفزيون كل ما اتسعت له مخازنه عن الثورة من افلام روائية الى برامج وثائقية. وانتجت سائر القنوات برامج اعدت خصيصاً للمناسبة ومن بينها سلسلة افلام عن رجال الثورة اخرج احدها اللبناني مارون بغدادي.

فضلا عن عشرات المؤتمرات العلمية التي اكدت الاهمية العالمية للثورة الفرنسية في حينها وعلى مدى القرنين المنصرمين.

### اية ثورة؟

والافراط في الاحتفال باحداث الماضي ليس غريبا على فرنسا، اذ يعيش هذا البلد الاحتفالات المئوية او الخمسينية. وهو يحتفل بالفعل كل سنة بذكرى اديب كبير او واقعة تاريخية مهمة. هكذا، تم الاحتفال في السنوات العشرين الماضية بالمئوية الثالثة لغياب موليير، والمئوية الثانية لرحيل فولتير وروسو وديدرو، والذكرى المئوية لفيكتور هوغو وستندال، والذكرى الاربعين لوقائع الحرب العالمية الثانية التي ما كادت ان تنتهي حتى دخلنا في مسلسل الذكرى الخمسين. فضلا عن الاحتفالات «الفئوية» التي ينفرد بها جزء من المجتمع الفرنسي من دون غيره، مثل مئوية كومونة باريس والذكرى الخمسين لحكومة «الجهة الشعبية» اي تحالف اليسار... وعلى العموم، قد يكون من ابرز سمات الذات الفرنسية انها تهوى النظر الى نفسها في مرآة الماضي.

وفي كل مناسبة، تكون هذه المرأة وسيلة ليس لقراءة الماضي فحسب وانما لالقاء الضوء على الحاضر.

وهذا ما يدفع اليوم التساؤل عن الصورة التي ستخلفها عن الثورة وعن فرنسا. محصلة الاحتفالات او بتعبير آخر، اية ثورة يحتفل بها اليوم؟ واية فرنسا هي التي تحتفل بالثورة؟

ولا بد من الاشارة هنا الى ان تاريخ الثورة الفرنسية تحمل طوال القرنين التاسع عشر والعشرين الكثير من القراءات، منها القومية ومنها الليبرالية ومنها الماركسية. وكانت كل قراءة تشدد على واقعة معنية في مجرى الثورة التي لم تقتصر في اي حال على سقوط سجن الباستيل رمز الطيغان الملكي، في ١٤ تموز (يوليو) ١٧٨٩. وهي لم تنته بانتهاء عام ١٧٨٩ بل استمرت ست سنوات اخرى حتى سقوط روبسبيار حسب البعض، وحتى مجيء بونابرت حسب البعض الاخر. بل ان بعضاً ثالثاً يعتبر انها استمرت حتى سقوط بونابرت الذي كان تحول الى الامبراطور نابوليون الاول، وهو من يسميه المؤرخون «روبسبيار في لباس خيال».

### الحقوق: القاسم المشترك

بطبيعة الحال، تتركز الاحتفالات هذه السنة على ابرز حدثين لسنة ١٧٨٩، وهما سقوط الباستيل وصدور اعلان حقوق الانسان والمواطن. الا انه بدا من توجيهات الرئيس فرنسوا ميتران نفسه ان التركيز على دخول مفهوم حقوق الانسان الى اللغة السياسية الاوروبية لا يفرضه فقط احترام



التسلسل التاريخي. ولا يخفى ان القراءة التي تعطى لهذا المفهوم تتأثر بما حصل في الغرب منذ خمسة عشر سنة وبداية عصر «موت الايديولوجيا» اكثر من تأثرها بظروف الثورة. بالطبع، لن تمر ذكرى اعلان الجمهورية (١٧٩٢) من دون احتفالات. كذلك سيحتفل في الضرورة بسائر وقائع الثورة، ان لم يكن رسمياً فعلى الاقل عبر القوى والمؤسسات التي تعتبر نفسها معنية بهذا التراث. ولكن تبقى للتركيز على جانب حقوق الانسان دلالة سياسية مهمة تشير الى رغبة المجتمع الفرنسي في العدول عن الصراعات التي طالما جزأته في القرنين الماضيين. وبهذا المعنى، يشكل مفهوم حقوق الانسان القاسم المشترك بين كل ورثة الثورة، او بالاحرى الحد الادنى المشترك في المجتمع الفرنسي.

لم تكن النزعة الجمهورية مهيمنة دائما في التاريخ الفرنسي الحديث. واذا كانت انتصرت في اكثر الاحيان، فانها لم تكن دائما مقبولة من طرف الفئات المهزومة. فعندما حلت الذكرى المئوية الاولى للثورة في القرن الماضي، كان الوسط الكاثوليكي المحافظ في المجتمع ما زال ينظر الى الجمهورية على انها «الصعلوكة» وبقيت التسمية شائعة في هذا الوسط في اوائل القرن العشرين، وحتى نظام فيشي الموالي للنازية الذي شكل الى حد كبير ثأراً من الجمهورية. اما اليوم، فلم يعد احد يرفض الاطار الجمهوري، على الاقل علناً واذا كان الجناح الكاثوليكي الاصولي الذي يرفض تجدد الكنيسة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، ينوي تنظيم صلاة للتكفير عن «خطايا» الثورة يوم عيد العذراء، فهذا لا يعدو كونه ضرباً من «الفولكلور» تمارسه اقلية هامشية.

## تجاوزات الثورة

في المقابل، يتضح من نوعية الكلام الذي امكن سماعه منذ بداية السنة ان المجتمع الفرنسي اليوم يلقي نظرة قاسية على «تجاوزات» الثورة وبخاصة على مرحلة «الارهاب» (١٨٩٣ - ١٨٩٥) التي ذهب ضحيتها حوالي عشرة الاف فرنسي، وكذلك على الطريقة التي قمعت بها حركات التمرد الريفية المؤيدة للملكية في مقاطعتي فندية وبروتاني.

وانطلاقاً من هنا، يمكن التكهن ان ذكرى اعدام لويس السادس عشر لن تكون مجالاً للكثير من الاحتفالات، اذ تشير استطلاعات الرأي الى ان الفرنسيين يعتقدون اليوم ان الملك المخلوع لم يكن يستحق الموت.

واذا كان هذا النمط من التفكير التاريخي يعبر اساساً عن تراجع الفكر اليساري، فانه ينم ايضاً عما هو اعمق، وهو ما يمكن الاشارة اليه بانه رفض للسياسة. وللثورة التي يحتفل بذكرها في فرنسا اريد منها فقط الاشارة الى ولادة فرنسا الحديثة وانعتاقها من الاقطاعية، من دون الخوض في المسار الصعب الذي تبع لحظة الولادة. لذلك يتم التشديد على بعدها الرمزي العالمي من دون الغوص في الصراعات التي اعطت لهذا الحدث على مر السنين شحنته السياسية.

ويتجلى الابتعاد عن السياسة في نوعية الاحتفالات المقررة. بالطبع، لم يرغب عن بال المؤرخين البحث في سائر مجالات الثورة خلال المؤتمرات العلمية الكثيرة التي اقيمت في هذه المناسبة. لكن النقاشات «الثورية» غابت عن الاحتفالات العامة التي غلب عليها طابع ترفيهي، او ما يمكن تسميته «ارادة الاحتفال من اجل الاحتفال». صحيح ان الجمهور الفرنسي يهوى على الدوام العروض



الكبيرة والالعاب النارية، الا ان انتشار هذا النمط من الترفيه في السنوات الاخيرة وطغيانه على الذكرى المئوية الثانية للثورة جعل قادة الرأي يتساولون هل بدأ حكام فرنسا يأخذون بمبدأ قدامى الرومان، مكتفين باعطاء الشعب «خبزاً والعباب»، وهل يتخلون في ذلك عما يشكل في نظرهم خصوصية هذا البلد، وهو السعي الى المجد، في وقت كثر فيه الحديث عن انحطاط فرنسا؟

. غداً: ميتران بين صدى التاريخ والسعي الى الاجماع.

سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>89-Pr-000540</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		الذكرى المئوية الثانية للثورة الفرنسية (١ من ٢) الابهة الجمهورية وهواية النظر إلى النفس في مرآة الماضي
<b>Subtitle</b>		أية ثورة؟ - الحقوق القاسم المشترك - تجاوزات الثورة
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		الحياة
<b>Page</b>		١ تنمة ١١ 1 + 11
<b>Date</b>		١٩٨٩/٧/١٤ 14/07/1989
<b>Author From</b>		سمير قصير باريس
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	فرنسوا.ميتران - موليير - فولتير - روسو - ديدرو - فيكتور. هوغو - ستندال - روبسبيار - نابليون. بوناپرت - لويس. سادس. عشر
	<b>Locations</b>	فرنسا - باريس
	<b>Dates</b>	14:07:1789, 1895 - 1893
	<b>Themes</b>	ذكرى. مئوية. ثانية - ثورة. فرنسية - فرنسا - بانيتيون - إحتفالات - عيد. وطني - حزب. اشتراكي. حاكم - حركة. سياحية - روبسبيار - نابليون. بوناپرت - فرنسوا. ميتران - وسط. كاثوليكي. محافظ - نظام. فيشي - جمهورية - ارهاب - لويس. سادس. عشر.
<b>Subject</b>		من أبرز سمات الذات الفرنسية انها تهوى النظر إلى نفسها في مرآة الماضي وفي كل مناسبة، تكون هذه المرآة وسيلة ليس لقراءة الماضي فحسب وإنما لإلقاء الضوء على الحاضر، وهذا ما يدفع إلى التساؤل عن الصورة التي ستخلفها إحتفالات "الابهة الجمهورية" بالذكرى المئوية الثانية للثورة الفرنسية، فأية ثورة يحتفل بها اليوم؟ وأية فرنسا هي التي تحتفل بالثورة؟